الصراع اللغوي بين الفصحى والعامية

م.د. أسعد محمد حسين

كلية الأمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الاسلامية الجامعة

mlecnjf4@alkadhum-col.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الفصحى ، العامية ، الصراع اللغوي ، مناهج الدرس.

المستخلص:

يهدف البحث إلى رصد التداخل الحاصل بين الفصحى والعامية، ومن ثَم إقامة نهضة لغوية شاملة لتلبّي متطلّبات العصر الذي نعيشه، وفي الوقت نفسه المحافظة على أصالة اللغة العربيّة وجمالها؛ مما يستلزم من مؤسسات المجتمع كافة وقفة جادّة، فالعربية هي جزء أساسي من هويتنا العربية والإسلامية الغرّاء، وأي تنازُلٍ عنها يُعَدُّ تنازُلًا عن أصالتنا.

ولعل المتتبع يلحظ إنَّ مجتمعاتنا باتت تُعاني صراعاً ونفورًا ملحوظًا من استخدام الفصحى؛ فالأساليب الجافّة المتبعة في تعليم اللغة العربية في مختلف المراحل التعليمية أدت إلى الابتعاد عن التعبير بالفصحى وتفضيل التعبير بالعامية، الأمر الذي ربط استخدام الفصحى بالمحدودية والتاريخية، وفي ضوء ذلك يحاول البحث تسليط الضوء على الأسباب التي تقف وراء ذلك، هل هي المناهج الدراسية أم مدرسو اللغة العربية؟ أم عدم الاهتمام بربط الدروس التنظيرية إلى تطبيقات تعليمية يسيرة وممتعة؛ تُيَسِّر هدف تعلُّم اللغة وتحبيبها للناشئة.

Abstract:

The research aims to monitor the overlap between classical and colloquial Arabic, and then establish a comprehensive linguistic renaissance to meet the requirements of the era in which we live, while preserving the originality and beauty of the Arabic language. This requires all the institutions of society to take a serious stand, as Arabic is an essential part of our dear Arab and Islamic identity, and any waiver of it is considered a waiver of our originality.

Perhaps the observer will notice that our societies are experiencing conflict and a marked aversion to the use of classical Arabic. The dry methods used in teaching the Arabic language in the various educational stages led to a move away from the classical expression and the preference for the colloquial expression, which linked the use of the classical language to the limited and historical, and in light of this, the research tries to shed light on the reasons behind this, are the curricula or the teachers of the Arabic language? Or a lack of interest in linking theoretical lessons to easy and fun educational applications? Facilitates the goal of language learning and young people love it.

مدخل مفاهيمي:

الفصحى هي اللغة القومية لجميع العرب، ولغة العقيدة للمسلمين، واللغة التي كُتِب بها معظم النصوص العربية، وتُستخدم لتدوين المؤلفات والمجلات والصحف، وشؤون التشريع والقضاء والإدارة، وتُؤلف الشعر والنثر الفني، وكذلك تستعمل في المحاضرات سواء أكانت على مستوى الخطابة أم على مستوى التدريس أم في المواضيع التي تخص الأدب والعلوم.

واللغة العربية الفصحى هي لغة اشتقاقية تقوم في معظمها على أبواب الفعل الثلاثي، ولا مثيل لها في جميع لغات العالم الأخرى، فهي ذات قدرة على التعبير، ولا يمكن لغيرها من اللغات التعبير عنها؛ أي اللغة الأقرب إلى قواعد المنطق([1]).

وتقابل الفصحى العامية وهي التي يستخدمها السواد الأعظم من الناس في كل أنحاء العالم، حيث تعد ظاهرة لغوية في جميع دول العالم، وتجرى بها جميع التعاملات الكلامية، وهناك عدة عوامل ترجع لأسباب حدوث العامية بلهجاتها المختلفة؛ لعل الصراع اللغوي يقف في المقدمة من حيث ترتيب أهمية العوامل التي أدت إلى حدوث تعدد اللهجات، وانتصار احداها على أخرى، وفقا للقوانين اللغوية؛ فاللغة الاقوى حضاريا وماديا يُكتب لها الانتصار.

ويأتي العامل الجغرافي بعد الصراع اللغوي من حيث الأهمية، إذ إن الجبال والأنهار تشكل عازلاً مهماً بين الناس؛ مما يُقلل التواصل فيما بينهم، والتبدّل والتغيّر التدريجي في اللغة هو تحصيل حاصل لما يأخذه المتكلمون من اللغة؛ مما يؤدي إلى حدوث لهجة جديدة، ويشترك مع العامل الجغرافي عامل آخر ويسير معه من حيث الأهمية هو الظرف الاجتماعي الذي ينتج بيئات متعددة الطبقات، وكل طبقة تحاول أن تكون لها لغتها، وأسلوبها المميز([2]).

أما العامل السياسي الذي يُسهم عن انفصال قبيلة أو دولة، أو الإيمان بمذهب سياسي ما، وقد يؤدي إلى اعتناق ديانة جديدة، وكل ذلك يكون سبباً في دخول ألفاظ واصطلاحات جديدة على اللغة، جميعها تسهم في خلق لغة جديدة بظروف جديدة نابعة من أسس سياسية.

العامية وعوامل الجاذبية فيها:

يرى أنصار العامية أنها تشبه لغة حية متطورة، تتغير نحو الأفضل، نظرا لوصفها بإسقاط الإعراب، وبشكلها العادي والمألوف واعتمادها الفصحى معينا لها، فالاقتصاد في اللغة يعد أساس لها، وكذلك الإهمال والتجديد والاقتباس في المعنى، حيث يرى الكثيرون أنها نامية مواكبة لطبيعة الحياة تحرص على إهمال ما يجب أن يهمل، واقتباس ما تفرضه الضرورة من الألفاظ.، ولا يمكن أن ننسى العنصر الإنساني، فهو يضيف لها مسحة الحياة، كما أن الفصحى لدى أغلب دعاة العامية أنها ليست لغة الكلام كونها لا تعبر عن الحياة بحلاوتها وقسوتها كما تفعل العامية، ويستدلون على ذلك أن الإنسان لا يستطيع التعبير بواسطة الفصحى([3])، بنفس الطلاقة التي يعبر فيها بواسطة العامية.

الفصحى والعامية من ستحتل موقع الأخرى:

الإنسان هوية، واللغة أحد المكونات والمزايا للإنسان، فاللغة وعاء الثقافة والفكر، تختزن المشاعر والذكريات والآمال، وتبدو فيها منعَكسات تفكير أهلها، كما أنها إحدى شعائر الأمم التي بها تتميز، ومع ما حملت العربية من تاريخ مشرق نقلتْ فيه الحضارة العربية الإسلامية، بأدبها وقيمها وفلسفتها وتاريخها وعلومها الاجتماعية والكونية، بل أكثر من ذلك حفظت علوم اليونان وفلسفتهم، وكانت خير مؤتَمنٍ عليها، وما امتازت به من خصائص في ثراء مفرداتها، وبلاغة أساليبها([4])، وقدرتها على الازدياد والاستيعاب للعلوم وابتكاراتها؛ ومتعةِ أسرِها لمن عشقها وأتقنها، فإنها تواجه اليوم تحديات عدة، مما يتبادل إلى الذهن سؤال هو: هل العامية خطر عظيم يمكن أن يودي بحياة العربية الفصيحة، أو يزيحها ليحتل مكانها أو ربما مكانتها؟

قبل الاجابة عن هذا الموضوع سنطرح بعض التساؤلات، وهي: هل العامية أو اللهجات الدارجة تحدٍّ واجهته العربية وحدَها؟

من الواضح يمكننا القول أن اللغات بطبيعتها تمتلك مستويات في خطابها، ففيها الرسمي والعامي، والأكاديمي العلمي والأدبي، وما يصلح في خطاب أو جنس فني ربما لا يصلح في خطاب أو جنس غيره، ويخطئ من يعتقد أن أبناء اللغات الأخرى سواء في فهم كل ما يُكتب في لغاتهم([5])، لكن شدة الاختلاف بين الفصحى والعامية في العربية قد تكون الأبرز بين اللغات.

يجب علينا أن نستذكر حقيقة أن أي لغة من لغات العالم لم تعرف ما عرفته العربية من ثبات في أصول قواعدها على مدى خمسة عشر قرناً، ولا يصعب علينا أن نجد ما لدى العربية من نصوص ترجع إلى هذه القرون ومع ذلك نقرئها اليوم ونفهمها، وعلى رأس هذه النصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وكذلك نصوص السيرة النبوية وما فيها من قصص وحوارات وأحداث، ومن ناحية أخرى نعلم أن الجزيرة العربية عرفتْ عدةَ لهجاتٍ كان أهل اللغة يسمونها (لغات)، وبعضُ خصائصها ما زالت آثارها في لهجاتنا المحلية([6]).

وإن دققنا النظر وجدنا أنه من الخطأ أن نقارن تلك اللهجات بالعامية اليوم؛ لأن ما وصلنا من نصوص أو اختلافات بين هذه اللهجات لا يعدو أن يكون اختلافاً في معاني بعض الكلمات أو لفظها واختلافاً في بعض الأحكام النحوية.

أما الاختلاف بين الفصيحة والعامية اليوم فأكبر من ذلك، وهي في المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي، إضافة إلى أن العامية ذات قواعد بسيطة وتختفي فيها بعض الصيغ والضمائر، ولا يقارن ما فيها من مفردات بثراء الفصيحة؛ ولذلك نجد الطفل الذي لا يبدأ بتعلم الفصحى من صغره من خلال المدرسة والبيئة فقيراً جداً في مفرداته([7]).

خطر العامية على الفصحى:

ظاهرة العامية ليست مقصورة على العربية وحدها، إنما هي في كل لغات العالم تقريباً، وكذلك موجود العامية على مدى العقود إذ إنها كانت حاضرة، ولكن لم تزاحم الفصحى كما هي اليوم، فمظاهر هيمنة العامية باتت كثيرة، تجدها في التواصل اليومي، في البيت والعمل، وفي كل مرافق الحياة، حتى في المدارس، بل تسللتْ في بعض الأماكن إلى حصت اللغة العربية، كما تجدها في برامج التلفاز والإذاعة، وتسمعها في الأفلام والمسلسلات والأغاني.

وصار الطفل العربي يكتسب العامية أولاً، ثم يتعلم الإنكليزية ثانياً وتأتي العربية ثالثاً، فلا يكاد يقرأ شيئاً بها، ويوشك أن يتعلم العربية الفصيحة وكأنها لغة أجنبية، ومن طبيعة الإنسان أنه عدو ما يجهل، فإنْ هو لم يتقن العربية زهد فيها أو نأى عن استعمالها، وفاته ما فيها من ثروات معرفية وأدبية، وغدا أكثر عرضة لتهديد الهوية الثقافية([8]).

لكن علينا ألا نُغفِل أمام الصورة القاتمة لواقعنا اللغوي أن هناك بريقَ أمل، فما زالت الصحفُ الرسمية تَصْدُر بالعربية الفصيحة حتى حيث تسيطر اللغات الأجنبية في قطاعات كثيرة في المجتمع، وما زالت المؤلفات بالعامية محدودة المجال، وما زال للكلمة الجميلة الفصيحة وقْعُها، ويسمعها عدد كبير من الناس عندما تجد الطريق المناسب إلى قلوبهم، من خلال الفن والإعلام.

رغم كل تحديات التغريب والعولمة نجد برامج تُشاهد على نطاق واسع، وهي باللغة الفصيحة لا العامية، كل هذا يقول لنا: ما زالت السوق رائجة للغة الشاعرة عندما تجد الوسيلة الفنية الجميلة، وكلما رحمْنا أبناءنا ويسّرنا لهم السبل الجميلة لتذوُّقِ العربية، وأحطناهم بالوسائل الجذابة في البيت والمدرسة، وجدت العربية الطريق إلى قلوبهم، ولهجتْ بها ألسنتهم وأقلامهم.

نعم، لا نُنكر أن ناقوس الخطر على لغتنا يدق ولكن المستقبل رهنٌ بمقدار ما نستطيع من وضع مخطط لغوي عملي، ومقدار ادراكنا لسُباتنا الحضاري الذي نأمل ألا يطولَ كثيراً، ولعل أهم الأسباب التي تقف وراء ذلك هو انشغال الساحة العربية الثقافية والأدبية، بتوظيف المناهج الغربية، في دراسة وبحث الأدب العربي وعلوم اللغة العربية، وقد امتزج هذا الانشغال، بنظرة استعلاء من قبل بعض المهاجرين إلى بلاد الغرب، وكذلك بعض الدارسين في أوربا عن آداب اللغة العربية([9])، وعلومها، بشكلٍ ملحوظ، ما ابدعته الحضارة الغربية من وسائل، وأدوات بحثية حديثة، فبدأوا يتخلون عن تبني طرق بحث تراثهم التقليدية، واللجوء إلى تبني المفاهيم، والمناهج الغربية الحديثة، بذريعة مواكبة العصر، وبحجة ضرورة دراسة اللغة العربية، دراسة علمية حديثة([10]).

ولأن العلوم الإنسانية، مهما كانت درجة تجردها، وفي مقدمتها اللغة بالطبع، تظل أداة عاكسة للثقافة، ووسيلة لرواية التاريخ والموروث، فإن لها خصوصيتها وملامحها الفريدة، التي يصعب معها، تطبيقها على بيئة ثقافية أخرى.

فقد أدرك العرب الأوائل بفصاحتهم الفطرية، الهُوية المستقلة للنص العربي القرآني، في تركيبه اللغوي، وتعاملوا في تلقيه وفهمه، في إطار سياقات لغة التنزيل، وهي بعيدا تماماً عن أي تأويل متطرف غريب عن لغتهم.

فالانسياق وراء المناهج الغربية المعاصرة، ومحاولة توظيفها في قراءة النص، تحت ذريعة أن النص اللغوي يخضع للتأويل المفتوح، وبحجة استمرارية حركة المعنى، ليواكب حركة التغير في الحياة([11]).

تبقى لغتنا الجميلة سيدة لغات الأرض لا تجاريها لغةٌ أُخرى في الدقة والروعة والجمال، ويكفيها شرفاً أنها لغة القرآن الكريم **{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}**([12]).

اللغة العربية واجهت العديد من العقبات والعوائق مثل بعض المفردات الغربية التي دخلت عليها وصارت كأنها جزء منها، و(العربية) هي الأساس، لكن إذا ما جئنا إلى الواقع نجد أن هناك مجموعة لغات ولهجات تنافسها المكانة، فمن خلال اللهجات نجد أن أبناء الدول العربية يتكلمون بلهجاتهم في بلدانهم، وأحياناً تكون لهجات قرى ومناطق صغيرة، وإذا جئنا إلى اللغات سنجد أن كل قومية من القوميات المختلفة تتحدث بلغاتها ولهجاتها في هذه اللغات[13].

أما أبناء العراق فعلاوةً على ذلك فإنهم يتكلمون ويتحدثون بلهجة محلية بتنوع مفرداتها بين مدينة وأخرى، ولم يبقَ للغة العربية إلا المراسلات الرسمية والجانب الشرعي والثقافي والأدبي، مع التحفظ على ما يدور فيها من لحن، إذاً الواقع يقول: إن الفصحى بعيدة عن الاستعمال، برغم الازدواجية بين الفصحى والعامية، فهذه اللغات وتلك اللهجات لا تمثل خطراً على اللغة العربية التي نظم بها شعراء الجاهلية، فلا تزال نصوصهم تُقرأ كما كُتبت، والفصحى باقية، وهذا ما يؤكده النصّ القرآني منذ نزوله وسيبقى ما بقيت الحياة، إذاً لا خطر على لغتنا الجميلة وستبقى ما بقي الدهر.

أما الازدواجية بينهما فتكمن في عدم إمكانية التواصل بين أبناء الأمة العربية، لو استعملوا لهجاتهم والتاريخ شاهدٌ على ذلك من خلال اللهجات القديمة وأثرها في التواصل كما يضرب لذلك المؤرخون مثلاً بالموفد الذي جاء إلى أحد الملوك وكان يجلس على مرتفع، فبعد أن سلم عليه، قال له: ثب، فقفز الرجل وألقى بنفسه من علٍ، لأن معنى مفردة: ثب عند الملك: اجلس، ومعناها عند الموفد اقفز.

التوازن المفقود بين الفصحى والعامية:

وحول التوازن المفقود بين الفصحى والعامية، ناتج عن الضعف في التحصيل الدراسي لأن الطفل الذي يأتي من بيته محمّلاً بلهجة عامية، يصدم عندما تقابله كلمات غير مستعملة وهي الفصحى، فتكون كأنها جديدة عليه، وما يثبت ذلك أن الطفل قديماً قبل دخوله المدرسة كان يمر بالكتاتيب ويحفظ القرآن، فإذا دخل المدرسة كان ذلك المخزون اللغوي مساعداً له لما يلقى عليه من دروس بالفصحى، أما الآن وقد غاب نظام الكتاتيب ومنع الحفظ في المنهاج الدراسي أصبح الطالب فقيراً في المفردات فلا يستطيع التعبير لأنه لا يستطيع قراءة الكلمات، مؤكداً أن العامية واقع ولكن يجب ألا تكون حاجزاً بين الإنسان واللغة الفصحى([14]).

وعن أثر الدعم الرسمي في تطبيق وتعزيز لغتنا الجميلة للأسف، الدعم الرسمي الحكومي والقرارات والأنظمة مشهود لها، غير أن التطبيق بعيد عن الواقع، لأنه حتى الآن لا يوجد ذلك الالتزام من الشارع، مؤسسات وأفراداً بهذه الجهود الحثيثة.

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول إن مجتمعنا العربي، يحرص على استخدام الفصحى سبيلاً للتواصل عندما يكون مجال التواصل هو المكاتبات والمراسلات والمخاطبات الرسمية، كما أن هذا المجتمع يحرص على استخدامها في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، فالمقالات والتحقيقات الصحفية ونشرات الأخبار وبعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية جميعها تكتب وتبث وتعرض باللغة العربية الفصحى.

ويظل هناك هامش لاستخدام لغة وسطى بين الفصحى والعامية، يُطلق عليها عادةً (اللغة البيضاء) في الحوارات، في حين تحرص برامج إذاعية وتلفزيونية على استخدام الفصحى في حواراتها، خاصة تلك التي تتعلق بالثقافة والسياسة وما شابهها([15]).

ويبقى الناس يستخدمون اللهجات العامية في حواراتهم اليومية ومعاملاتهم، ولا نعتقد أن هذا يضرّ كثيراً بالفصحى، فحتى بين العرب الذين عاشوا في العصور السالفة، كالعصر الجاهلي على سبيل المثال، كانت لهم لهجاتهم الخاصة([16]).

نستطيع القول إن للفصحى مجالاتها التي تستخدم فيها، وللعامية مجالاتها التي تستخدم فيها؛ الفصحى وسيلة التعبد والتعلم والثقافة والأدب، والعامية وسيلة التواصل اليومي والتخاطب والمعاملات، والخطر على الفصحى لا يأتي من العامية([17])، وإنما من اللغات الأخرى التي تشكل تهديداً للغة العربية إذا ما تم استخدامها للتعلم أو التعامل الرسمي أو التواصل بين أفراد المجتمع، وهذا الموضوع ليس بجديد، فهناك العديد من الدراسات والأبحاث حوله، لكن معظم هذه الدراسات توضحه من وجهة النظر العملية للدراسات القديمة، أي تتناوله من جانب تاريخي.

أوجه التقارب والافتراق بين العامية بالفصحى:

هناك أصول عربية لجميع اللهجات العامية والفصحى ولهذا السبب يوجد تشابه بينهما، نظرا لأنهما من صنع المجتمع واللسان العربي، لكن ما يرفض من تلك اللهجات أنها أجزاء من لغات تلاشت، كما أن العامية هي اللغة الدراجة والتي ينطق بها الناس ويستعملونها في أغلب تعاملهم في حين تقتصر الفصحى على الخاصة.، وكذلك العامية تحررت من معظم قيود والأحكام اللغوية، لتنطلق علي سجيتها الكلامية باعتبار أنها اللغة المحكية بأحكام النحو والصرف والألفاظ الدلالية([18]).

كما أن معظم من ينطقون العامية، لا يستطيعون القراءة والكتابة، كما يعانون أيضا من صعوبة في فهم واستيعاب ما تعنيه، ولعل هناك جانب بالغ الأهمية هو أن العامية تفتقر مالا يمكن أن يحصى من المصطلحات العلمية والفنية، والمفردات المستحدثة([19]).

هل الصراع حقيقي بين تيار العامية وتيار الفصحى؟

أصحاب الفصحى: يذهب أصحاب هذا التيار إلى مفهوم القومية والوحدة العربية مضافاً إليها الجانب الديني والتراث والأدب والفكر كلها برزت بلغة عربية موحدة ومشتركة وجمعت بين العرب من جنوبه إلى شماله ومن غربه إلى شرقه ومنذ فجر الإسلام، ويقول أصحاب الفصحى أنه لو ضعُفت الروابط بين أبناء أمتنا الواحدة يؤثر سلباً على اللغة ويسبب إلى ضعفها وتشتتها وهي اللغة القومية إذا ما تم الاستعاضة عنها بالعامية، وبالتالي يلتحق هذا الضعف بأصحاب ورجال الأدب والفكر ومن ثم السياسة والعلوم الأخرى، مضاف إليها تفتقد للصلة بين الماضي والحاضر، وفي نظر أصحاب الفصحى أن العامية عبارة عن ظاهرة مشتركة بين جميع لغات العالم وتتفرع منها لهجات محلية كثيرة.

أما الفصحى فهي لغة تحمل مهارة يكتسبها الإنسان كبيراً وصغيراً. من خلال طريق متعددة كالمران والممارسة فهي مهارة كمهارة تعلم القيادة والسباحة وغيرها من المهارات، وفي الفصحى من الأساليب التعبيرية التي تقف وتعجز أمامها العامية أو أن تأتي بمثلها، لذلك ينبغي علينا مراعاة ذلك فهي لغة القرآن وأحكامه ولغة الدين الحنيف.

أصحاب العامية: كان دور المستشرقين بالغ الأهمية فيدعم العامية على حساب الفصحى من باب ضرورة كتابة الأدب باللغة الشعبية، وكذلك مخاطبة الشعب من قيل المفكرين باللغة التي تستعمل للتخاطب والتفاهم اليومي، وبحسب ادعاء المستشرقين أن بقاء الفصحى من الأمور التي أدت إلى عدم مواكبة العصر لأنها فاقدة للمصطلحات العلمية.

مما لاشك فيه كان عدد من المستشرقين يؤكد على أن أحكام الأعراب والمترادفات من الأمور المعقدة التي تعرقل التطور اللغوي ولذا يجب العمل بالنظرية المعروفة: (إذا كانت اللغة للفهم والتفاهم فإن أحسن اللغات وأفصحها، وهي التي بالإمكان أن نفهمها بأيسر وأبسط ما يكون من الجهد)، والمقصود من هذا كله طبعاً العامية؛ لأن الحياة تتطلب الوضوح والبساطة كما يزعمون منطلقين من أن الرصيد اللغوي المتكون من اللهجة العامية المتداولة المتميزة بالمرونة والبساطة وسهولة التعبير في تراكيبها.

حتى نكون منصفين هناك نفر من المستشرقين يحرص على اللغة العربية ومستقبلها، هذا ما يثبته البحوث والدراسات التي تغطي المكتبات الأجنبية والعربية، إلا أن النفر الآخر منهم له محاولاته المقصودة في اضعاف اللغة العربية الفصحية ومحوها لغاية ما، فالفصحى تعني أنها روح الأمة وعنصر الديمومة والبقاء وأحد الأمثلة الشاخصة ما نراه في بلدنا العربي الجزائر الذي ما زال يعاني من الجانب اللغوي ليومنا هذا، بدعوى هجر الفصحى والتزام العامية لغة الكتابة والقراءة بداعي صعوبتها وعدم فهمها من قبل الجماهير.

هناك من له رؤيا مختلفة عما تقدم وهو أن هناك معاناة من قبل أصحاب العامية وأصحاب الفصحى إذ أنها لم تعد لغة حية تواكب وتساير التطور الحديث بكافة أنواعه سواء أكان علمي أم تكنولوجي، وحتى بإمكان العرب الارتقاء بلغتهم كان عليهم الابتعاد عن الإشكاليات والتعقيد اللغوي سواء

أكان في القراءة أم الكتابة، وكذلك عليهم ترك الحروف الأبجدية العربية، والتي تتخذ أشكالاً مختلفة لا تنسجم وروح العصر الحاضر في التعلم والتعليم، وكذلك ينبغي علينا استبدال الحروف العربية باللاتينية بحسب رؤية هؤلاء المجموعة، فاللغة العربية تكون أكثر مقاربة وانسجاماً للحروف اللاتينية وهي الحروف الأكثر استعملاً وشيوعاً على مستوى العالم، مما يجعل التعليم والتعلم أكثر مرونة وسهولة وكذلك أكثر رصانة وقوة.

أما بعضهم ممن يتخذ طريقاً وسطاً بين الفصحى والعامية ويرى فيها أنها هي الأسهل والأقرب إلى النفوس، وهي غير خالية من الألفاظ الفصيحة بل ممزوجة معها، إضافة لتطعيم اللغة التعليمية بألفاظ وجمل واضحة وبسيطة خالية من التعقيد وسلسة تتماشى مع المفردات الغريبة ولتكون هذه محاولة انطلاق لمراحل قادمة، وهذا يتوصل من خلاله إلى لغة سلسة ومرنة بحسب ادعائهم تسمى بالفصحى المعتدلة أو المتوسطة، وهي خطوة تتبعها خطوات لهجر اللغة الأم لغة القرآن الكريم.

مما تقدم من الواجب علينا توخي الحذر والدقة والمتابعة والتعلم والتعليم وكذلك وضع مناهج تربوية موحدة وشاملة وتعميمها في البلاد العربية كافة لتصبح اللغة الدارجة ولغة الكتب موحدة، فلو تتبعنا طموحات ومواقف المتكلمين باللغة العربية في أوربا وبقية دول العالم من اللغة القومية نرى أنهم قد يميلون إلى تطعيم العامية بالفصحى، وعلى العموم وإن كان هذا التفاوت جلي وواضح بين العامية والفصحى تبقى لغتنا هي لغة الإيمان بالدين الاسلامي المتمثل بالقرآن الكريم ونصوصه التي لا تقبل التحريف أو التغيير.

كلمات نظنّها عامية وهي في قلب اللغة العربية الفصحى:

أدت غلبة النطق العامي الدارج، للألفاظ العربية، بما يكثر فيها من ابتعاد عن الإعراب والنحو وأصول اللغة، ولأسباب شتى، إلى خلق انطباع "عامّي" هو الآخر، بأن ما نستخدمه من كلمات في حياتنا المعاصرة، ليس من الفصحى في شيء، فيما تجري ألفاظ على ألسنة العرب، الآن، وتحسب في مفردات العامية، بينما هي من صميم الفصحى.

ويشار إلى أن الألفاظ الدارجة في العالم العربي، هي في غالبيتها عربية، وجميعها متّصلٌ، في شكل أو آخر، بأصله النحوي أو الفصيح، إنما مرّت عليه تغيّرات اللسان، واختلاف الزمان، والاختلاط، والتطور الحضاري، فتغيّر صرفه ولفظه ومبناه([20]).

إلا أنه بقي في النهاية، عربياً، ولغة للعرب يُتخاطَب بها، لكن اللسان العربي الآن ينطق بألفاظ كثيرة فصحى، ضمن كمية كبيرة من ألفاظ عامية، اعتقِد، لوهلة، أنها عامية مثلها بينما، وبالعودة إلى كتب اللغة والقواميس، يظهر أنها فصيحة تماماً، ويتم التواصل اللغوي، من خلالها، كما لو أن قائليها يتحدثون الفصحى تماماً.

سننعرض فيما يلي إلى بعض الصعوبات التي تواجهنا فيما يتعلق بالقراءة والكتابة في المراحل المختلفة من عمليات التعليم الحياتية المختلفة:

من الأشياء المهمة التي تواجهنا هو موقع شكل الحرف في أول الكلمة، في وسطها وفي آخرها، وكذلك الحروف التي تتصل ببعضها والتي تتصل بما قبلها أو كتابتها منفصلة وعدم التمييز بين الحروف الصوتية الطويلة (ا ، و ، ي) والحركات القصيرة (ـَ ، ـُ ، ـِ)، ومن المشاكل أيضا إشكالية الحروف المضَعَّفة أي المُشَدَّدة في الكلمة، وعدم التمييز بين الحروف القمرية والشمسية أثناء إضافة (ال) التعريف، والخلط بين تاء المفتوحة والتاء المربوطة.

أما مشكلة قراءة الكلمات التي تلفظ بشكل مغاير لكتابتها مثل: (لكن ، طه ، هذا ، سموات)، وكذلك كتابة وقراءة الهمزة بأشكال مختلفة في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها مثل: (أَبو ، إن ، بئر ، قارئ ، لؤلؤ ، قراءة ، قَرأ)، مضاف إليها همزة الوصل والقطع.

ومن المواضيع المهمة هو زيادة الألف بعد واو الجماعة مع عدم لفظها مثل: (كتبوا) ، وعدم كتابة الألف بعد واو الجمع مثل: (مهندسو المصنع)، أو المضارع المنتهي بواو مثل: (يدعو ، نرجو) ومن التغيرات المهمة التي تطرأ على حروف العلة على سبيل المثال المضارع المُصاغ من الماضي المُعتَل بسبب دخول أداة جزم أو نصب مثل: (لم يلهُ ، لن يبن ، لم يسعَ)، أيضاّ موضوع العدد والمعدود من حيث التذكير والتأنيث، والتغيرات التي تطرأ على العدد المركب وغيرها.

العرض الذي تم تقديمه لم يكن إلا جزء بسيط ويسير من قائمة طويلة من المشكلات التي تعترض عملية الكتابة والقراءة والسبب وراء ذلك يرجع لعوامل عديدة تتصل بالنواحي الصرفية والنحوية للفظة التي ترتد على إخراج صوت الحروف من مخارجه المغايرة للمنبع المعتاد لها مما يؤدي إلى عيب في القراءة والنطق غير صحيحة مما قد يولد تأخر في فهم المعنى المراد.

خاتمة

1- من أهم النتائج التي توصل لها البحث هو اختلاف الأسباب والمسببات التي تقف وراء انتشار اللهجات العامية، منها تفشي الأمية والجهل بين أفراد المجتمع وهو من أهم العوامل التي يجب معالجتها وعلى وجه السرعة الممكنة.

2- من النتائج المهمة هو التعليم وعلى كافة مستوياته سواء أكان أولي أم جامعي؛ فهو يساعد على تشجيع اللهجات العامية ونشر اللغات الأخرى فضلا عن تعليم العلوم في المستوى الجامعي باللغات الأجنبية، وهذا بتالي يؤدي إلى التراخي والاهمال في استخدام اللغة العربية الفصحى.

3- استخدام وسائل الاعلام للهجات العامية، وهي ذات تأثير كبير على الناس في كل انحاء العالم، وخاصة الجانب السلبي منها.

4- هناك تأثر من جانب آخر على مستوى الطفل وخاصة إذا كان في مراحله الأولى من التعلم والدراسة، فاللهجة العامية هي اللهجة المحلية التي يتحدث بها في التعبير عن متطلباته داخل المدرسة باعتبارها اللغة الثانية بعد الفصحى، وكذلك جانب التدريس وكفاءة المعلم إذا ما نظرنا إلى حصيلته اللغوية، وهو

دافع اساسي إلى استعمال العامية، ولذا تُعدُّ العامية من الأسباب المعرقلة في استيعاب التلاميذ للدروس؛ مما يُحتم علينا مكافحة اللهجة العامية داخل المدارس من أجل النهوض بالعربية الفصحى.

5- من النتائج المهمة هي انتقال العامية من المشافهة إلى الكتابة داخل المؤسسات التعليمية أمر يضيق على التلميذ فهم المادة العلمية.

6- من النتائج المهمة أيضاّ تراجع اللغة العربية في عصور الانحطاط، تزامنًا لتردي الحياة بمختلف أنواعها، سياسيًا واجتماعيًا وأدبيًا، كما كان لاختلاط الأعاجم مع العرب الفصحاء أنْ جعلهم يبتعدون عن الأساليب العربية الفصيحة، فكانت البداية لظهور اللهجة العامية واستخدام ألفاظٍ غير دقيقة مما أدى إلى تعدد المعاني وتداخلها للفظة الواحدة.

7- تبقى اللغة العربية الفصحى هي لغة القرآن الكريم ولغة التراث، واللغة التي يدون فيها النتاج الأدبي والفكري.. واللغة الرسمية في المعاملات، أما العامية فهي اللغة غير الرسمية والتي تستخدم في الحياة العادية، ومن هنا نشأ مفهوم اللغة المزدوجة.

8- لا يمكننا إلغاء العامية كما لا يمكننا إلغاء الفصحى الذي تكفل الله عز وجل بحفظها، لكن من الممكن التقريب بين اللغتين واستعمال الأسهل لفظًا والاكثر استعمالاّ على اللسان.

9- بالإمكان تيسير النحو وتخليصه من العوامل الفلسفية والخلافية.

10- الإعلام بمختلف صوره له الدور الأكبر في الحفاظ على لغتنا من خلال الاستعمال السليم للغة، كما علينا الاستفادة من بعض تجارب الدول العربية بتعريب بعض العلوم كالطب والهندسة في جامعاتها.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم أنيس: "في اللهجات العربية". ط 4، القاهرة: المكتبة الأنجلو مصرية 1973.
- ابن فارس : المقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (ت390هـ)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء 4، د. ط، د. ت.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي، الجزء 3، المحتوى ض،ق ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، (1424هـ، 2002م).
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان ، د. ط، د. ت.
- أحمد مختار: "تاريخ اللغة العربية في مصر". الهيئة المصرية للطباعة،1970.
- علي ناصر غالب: اللهجات العربية، لهجة قبيلة أسد، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، (1431هـ-2010م).
- العياشي العربي: لغة الطفل العربي والمنظومة اللغوية في مجتمع المعرفة – الجزائر أنموذجا- منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، د. ط، د. ت.
- أنيس فريحة: "نحو عربية ميسرة ". بيروت: دار الثقافة، 1973.
- سامية جباري: اللسانيات وتعليمية اللغات، جامعة الجزائر1، ص105، الموقع الالكتروني ummto.dz

- عبد العزيز بن عثمان التويجري: حاضر اللغة العربية، التصفيف والتوضيب والسحب في مطبعة الإيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية.
- نفوسة زكريا: "تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر." الإسكندرية: دار الثقافة،1964.
- خليل محمد إبراهيم: اللغة العربية والعامية والأدب، الحوار المتمدن، العدد ١٧٦٦، 20006.
- خالد الشريف: العامية أم الفصيحة: أيهما أصلح للتعليم، مقال منشور في موقع الترا لايت، صوت فلسطين، 2018.
- سامح عودة: بين العامية والفصحى: هل تشكل الازدواجية خطرًا على اللغة، مقال منشور على الموقع الرسمي لقناة الجزيرة، 2017.
- أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللغوية، عالم المعرفة، الكويت، 1996.
- عزيز المغربي: ازدواجية اللغة طبيعتها ومشكلاتها في سياق التعليم، بحث منشور على موقع ستار تايمز، 2007.
- ميخائيل ممو: دور اللغة وأهميتها في حياة الشعوب، مقال منشور في موقع إيلاف، 2016.
- أسعد عباس كاظم المياحي: أسس تقريب العامية من الفصحى بين النظرية والتطبيق، مجلة الأستاذ، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الثالث، 1915، كلية الآداب، جامعة واسط، العراق.

الهوامش

1. يُنظر ابراهيم كايد، العربية الفصحى الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد 3، العدد1، 2002م، ص54.

2. يُنظر أحمد رضا، رد العامي إلى الفصيح، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981م، ص5.

[3]. يُنظر مجد البرازي. "مشكلات اللغة العربية المعاصرة"، ط1، عمان: مكتبة الرسالة، 1989، ص57.

[4]. محمود محمد الطناحي، في سبيل العربية، تحرير وتعليق: أحمد عبد الرحيم، تقديم: حسن الشافعي، أروقة للدراسات والنشر (1355-1419هـ) (1935- 1999 م)، ص318-319.

[5] يُنظر عبد العزيز بن عثمان التويجري، حاضر اللغة العربية، التصفيف والتوضيب والسحب في مطبعة الإيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، ص47.

[6] يُنظر وليد علي الطنطاوي، بحث في فقه اللغة، قسم اللغة العربية، كلية اللغات جامعة المدينة العالمية شان – علم ماليزيا eltontouly@mediu/edu.my

[7] يُنظر عمر فروخ. "القومية الفصحى". ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1961، ص97.

[8] العياشي العربي، لغة الطفل العربي والمنظومة اللغوية في مجتمع المعرفة – الجزائر أنموذجا– منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، د. ط، د. ت، ص122.

[9] حكيم رحمون، مستويات استعمال اللغة العربية بين الواقع والبديل، مخطوط ماجستير، تخصص: اللغة والأدب العربي، تاريخ المناقشة: 2011/7/4، ص95–96.

[10] يُنظر يوهان فك. "دراسات في اللغة واللهجات والأساليب". ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص195.

[11] يُنظر عبدا لكريم خليفة. "وسائل تطوير اللغة العربية العلمية". عمان: اللجنة الأردنية للتعريب، 1974، ص220.221.

[12] فصلت : 3

[13] ويزة أعراب، ما بين اللغة العربية الفصيحة والعامية " الفصحى المعاصرة"، "، مجلة اللغة العربية بين التهجين والتهذيب" الأسباب والعلاج"، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، ص 320 .

[14] عبد الرحمن الحاج صالح " اللغة العربية بين المشافهة والتقرير "، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 66، ص117.

[15][15] يُنظر ويزة أعراب، ما بين اللغة العربية الفصيحة والعامية " الفصحى المعاصرة"، "، مجلة اللغة العربية بين التهجين والتهذيب" الأسباب والعلاج"، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، ص 320 .

[16] عبدا لكريم خليفة. "وسائل تطوير اللغة العربية العلمية". عمان: اللجنة الأردنية للتعريب، 1974، ص220.221.

[17] يُنظر نصيرة زيد المال، إصلاح مناهج اللغة العربية في التعليم في ظل المستجدات المقاربة بالكفاءات" أنموذجا"، ص 282.

[18] يُنظر حكيم رحمون، مستويات استعمال اللغة العربية بين الواقع والبديل، مخطوط ماجستير، تخصص: اللغة والأدب العربي، تاريخ المناقشة: 2011/7/4، ص95–96.

[19] علي ناصر غالب، اللهجات العربية، لهجة قبيلة أسد، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، (1431هـ-2010م)، ص33.

[20] محمود محمد الطناحي، في سبيل العربية، تحرير وتعليق: أحمد عبد الرحيم، تقديم: حسن الشافعي، أروقة للدراسات والنشر (1355-1419هـ) (1935- 1999 م)، ص318-319.